المحاضرة السابعة

القصة القصيرة باللغة الفرنسية

أعلام الأدب الجزائري باللغة الفرنسي:

يحسن بالطالب التعرف – في هذه المحاضرة - على أعلام هذا الأدب قبل يتعرف على إبداعهم بسبب أن السيرة الذاتية لعلم منهم قد تزيح غموضا، أو تنفظ غبارا على زاوية مظلمة تعين على فهم علاقة ما بين النص وصاحبه وما أحاط به من ظروف تظافرت فأبدع الأديب من خلالها، أو كما قال الباحث الطيب بودربالة في سياق معالجته لمسألة الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية: " لقد اكتشف النقد الحديث بأنه لا يوجد نص بدون تناص، بمعنى آخر أن كل عمل أدبي يخضع بالضرورة لمجموعة من مصادر التأثير"[1]

سبق وأن أشرنا إلى بدايات الأعمال الفنية للأديب الجزائري باللغة الفرنسية كفن الشعر مثلا الذي كانت بدايته مع الشاعر سالم القبي عام 1917، وفن القصة التي كانت على يدي الشاب المقرب من الدوائر الفرنسية محمد بن رحال، كما أشرنا إلى قيمتهما الفنية قبل الثورة التحريرية وأثناءها، تلك المكانة التي لولاها لما تحدث عنها النقاد الفرنسيون وصحف ودوريات عربية وهاموا بها نشرا وقراءة وترجمة، " لأن النقاد الفرنسيين كانوا يتحدثون عنهم في شيء من الاعتزاز أحيانا باعتبار أدبهم ما هو إلا نتاج مدرسة الجزائر الأدبية الفرنسية، وأحينا كانت تتحدث عنهم في شيء من الدهشة والاستغراب باعتبار أدبهم أدبا هجينا مركبا من زيجة عربية فرنسية. وكانت الصحف والدوريات العربية ولوعة بالأدب الأجنبي ولو كان من أتفه الإنتاج إذا كان منتجوه من العرب أنفسهم كحال الأدب الجزائري الذي أكتشفته تلك الدوريات من خلال اللغة الأجنبية، فكانت: عقدة الخواجة[2] وراء العناية بأدب محمد ديب وكاتب ياسين ومولود معمري ومولود فرعون ومالك حداد فانهالوا عليه ترجمة وتعريفا وتعريفا بأصحابة الذين يدافعون عن قضية بلادهم بالقلم لا بالسلاح، وبالكلمة لا ببالبندقية، وبالحوار لا بالعراك، وبصوت المستضعفين لا صوت الأقوياء وصوت التسامح والحيرة لا صوت الصمةد والثقة بالنفس"[3].

مولود فرعون

مؤلفاته

يُعدّ مولود فرعون (1913 - 1962)، أحد مؤسّسي الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، إلى جانب محمد ديب، وللأديب مولود فرعون عدة مؤلفات سردية وشعرية فضلا عن الكثير من المقال، منها:

- ابن الفقير كتبها في شهر أفريل سنة 1940م
- أيام قبائلية ويتكلم فيه عن عادات وتقاليد المنطقة طبع سنة 1954م.
- الذكرى طبع سنة 1972م
- الدروب الوعرةة سنة 1957م

- الأرض الدم طبع سنة 1953م

أشهر أقوال الأديب مولود فرعون:

- أكتب باللغة الفرنسية لكي أقول للفرنسيين بأني لست فرنسيا

ويقول: "لقد كتبتُ "ابن الفقير" أثناء سنوات الحرب المظلمة على ضوء مصباح تقليدي. في هذه الرواية، يمكن القول إنني وضعت أفضل ما عندي". وعن سؤال طرحه الكاتب والصحافي الفرنسي موريس مونوابيه (1920 - 2016)، عن اعتبار الرواية سيرة ذاتية، يجيب: "نعم، أنا متمسّك، وبشكل كبير، بهذا الكتاب؛ أولاً، لكوني لم أكن آكل إلا عندما كنت أحسّ بالجوع. زيادة على ذلك، جعلتني هذه الرواية أنتبه إلى إمكاناتي. فالنجاح الكبير الذي حقّقته شجّعني على المضي قُدماً في كتابة روايات أخرى".

تُعتَبر رواية ابن الفقير باكورة كتبه وأبرزها، تستعرض في ما يشبه السيرة الذاتية، مظاهر البؤس التي عاشها بطلُها "فورولو"، وتنقل في ضوء ذلك، الحياة اليومية في مسقط رأسه، في منطقة القبائل، خلال الفترة الاستعمارية.

صدرت لأوّل مرّة عن "دار سوي" في باريس عام 1954، وفيها حاول فرعون، حسب قول صديقه الكاتب الفرنسي إيمانويل روبليس (1914 - 1995)، "أن يُدلي بشهادته حول الشعب الذي ينتسب إليه، ويقول بأنهم أناس كسائر البشر".

لم يتمتع الأديب بالعيش في ظل استقلال بلاده، لقد اغتالته منظّمة إرهابية فرنسية قبل أيام من إعلان وقف النار كما اغتالت الكثير من المثقفين الآخرين.

المحاضرة الثامنة

الرواية الجزائرية بالفرنسية

للروائيين الجزائريين إصدارات عديدة تعرف عليها مثقفوا العالم العربي والأوروبي قبل استقلال الجزائر وبعده منها:

آسيا جبا

القلقون ، 1953

العطش،1957،

النافذة والصبر 1958،

القبرات الساذجة،

بعيدا عن المدينة،

الحب والفاتازيا 1958،

أطفال العالم الجديد 1962،

أحمر الفجر 1969.

يميمنة شاكر

المغارة المتفجرة 1989

مولود فرعون:

الأرض والدم 1953

الدروب الوعرة 1969

ابن الفقير 1982

الهادي فليسى:
عنف وعنفوان 1989
محمد ديب:
في المقهى 1964
الطلسم 1969
التفاحة الحمراء 1985
المحاضرة التاسعة
فن المقال السياسي بالفرنسية

من خلال قراءتنا لبعض كتب المتخصصين في الأدب الجزائر علمنا أن كتاب الجزائر باللغة الفرنسية قبل وبعد الاستقلال لا يعدون على الأصابع بل عددهم كثير، وأن مجالات كتاباتهم تنوعت بين الشعر وفنون النثر ويبدو أن الشعر وفن القصة والرواية كانا من الإبداع الذي غلب على الكتاباتهم، كفن المقال بشتى أنواعه.

بالرجوع إلى بداية كتابة الجزائريين باللغة الفرنسية فإن أول جريدة فرنسية بعد احتلال فرنسا للجزائر كانت بعنوان المبشر، وأن هذه الجريدة دامت أكثر من سبعين عاما وأن مقالاتها كانت باللغتين العربية والفرنسية وأن كتابا جزائريين شاركوا الفرنسيين في قائمة كتابها سواء باللغة العربية أو اللغة الفرنسية ومنهم أحمد البدوي الذي عمل بهذه الجريدة إلى 1886، وكذلك أبو القاسم الحفناوي الذي صاحب المعمر آرنو أربعين سنة " وكان الحفناوي عالما تقليديا بمعنى الكلمة وله أسلوب جيد بمستوى ذلك الوقت، وقد نشر في المبشر مقالات بعضهاكان مترجما والبعض الآخر من إنشائه"[4].

ولجريدة المبشر السبق في تأريخ البداية لكتابات الجزائريين باللغة الفرنسية بالرغم من وجود أكثر من كاتب جزائري يتقن اللغة الفرنسية قبل الاحتلال ومنهم حمدان خوجة، وأحمد بوضربة، كما لها أهمية خاصة في تنشيط الترجمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية لأهداف كثيرة[5].

أقلام الجزائريين في جريدة المبشر قليلة، كما يلاحظ على المادة التي يقدمونه هي الآداب برغم كون الجريدة إخبارية " ومعظم ذلك كان على يد فئة قليلة من المعلمين الجزائريين مزدوجي اللغة، ومنهم بالإضافة إلى البدوي والحفناوي وابن عمر وعلي بن سماية ومحمود وليد الشيخ علي وقدور باحوم وعلي ولد الفكاي ومحمد بن مصطفى خوجة ومصطفى بن أحمد الشرشالي ومحمد بوزار ومحمود كحول ومحمد بن بلقاسم"[6]، بالإضافة إلى صاحبي الرحلتين محمد بن علي الشريف وسليمان بن صيام، وكذلك المشهور من الكتاب حسن بن بريهات، وأحمد بن الفقون.

هذا حديث عن فئة من الكتاب الجزائريين بعد الاحتلال شارك في الفرنسيين أنشطتهم الفكرية، منهم من من كان مواليا ومنهم من اضطرته الحاجة ومنهم من

كانت فرصته المناسبة لتعلم مهنة الصحافة وهكذا، أما فيما يخص بعض الجزائريين في مجال الأدب فهناك:

- محمد بن أبي شنب وموضوع رسالة الدكتوراه عام 1922 بعنوان: حياة أبي دلامة.
- أحمد بن بريهمات وموضوع رحلة أبي سالم العياشي.
- محمد بن رحال وموضوع السودان في القرن16م.
- حامد بن اسماعيل وترجمته لكتاب نور الألباب، وقد نشر ذلك على صفحات جريدة المجلة الأفريقية عام 1897.

تكاد تكون بداية القرن العشرين هي التي أصبحت فيها الكتابة الجزائرية باللغة الفرنسية إبداعا، بعيدة عن الترجمة وبعيدة عن التأثر بضغوط الإدارة الفرنسية ولو قليلا، فنذكر مثلا رواد الكتابة من بداية 1900 حتى الحرب العالمية الأولى:

- أحمد بن بريهمات، المجوب بن قلفاط، الطيب مرسلي، محمد بن رحال، ابن علي فخار، أبو بكر عبد السلام، إسماعيل حامد، وبعد الحرب العالمية الأولى إلى قبيل ندلاع الثورة التحريرية وبفعل انتشار التعليم والوعي وصدور الكثير من الجرائد وبناء المدارس وكثرة النوادي ودور التعليم المختلفة عرفت هذه المرحلة روادا حملوا على عاتقهم تعريف المواطن الجزائري بحقوقه وواجباته نحو أمته فأصدروا جرائد وسودوا صفحاتها بالمقالات وأنواع أخرى عادت على الجزائر وشعبها بالوعي، ومن هؤلاء:

- فرحات عباس، والزناتي والفاسي ومالك بن نبي ومراد بوربون وعبد الرحمن بن الحفاف ووعمار أوزقان ومصطفى الأشرف.

كتاب: الشاب الجزائري لفرحات عباس

كتاب: الجزائر: الأمة والمجتمع

هذا جزء من مقدمة كتاب الأمة والمجتمع

المقدمة

دروس من التاريخ للعبرة

الخطوط العامة لهذا الكتاب

ان هذه النصوص التي جمعناها بين دفّتي كتاب ، قد تبدو متناقضة من حيث الاتجاه العام ، ومن حيث الأفكار والنظريات . وهذا التناقض أوضح ما يكون بين النصوص الأولى والنصوص الأخيرة ، بسبب المدة الزمنية التي تفصل بينها ، وهي عشر سنوات . ولكن هذا التناقض ليس الا من حيث الظاهر ، أو ربّما كان ناتجا عن تطوّر الأمور ، وعن النظرة الجديدة التي أصبحنا نتلمّح بها الأحداث بعد استقلال الجزائر . وبما أن تلك النصوص منشورة في المجلات الدورية ، فان البعض منها هو من نوع المحاولات لعرض الأفكار أو لتناول القضايا ، لا من نوع الدراسات الوافية . ولهذا فتلك النصوص تشكّل اطارا مفتوحا للمزيد من البحث والتقصّي ، علما بأن الخطوط العامة فيها مرسومة بكل وضوح ، لا من حيث شرح الحقائق التاريخية فحسب ، بل كذلك من حيث تحليل الأحداث والوقائع .

على أن النصوص المتعلقة بعهد الاحتلال تتميز عن غيرها بشيء من التعقد ، مما قد يجعل القارىء غير المتبصّر ، وغير المدرك لما بين القضايا من تداخل ، يتّهمنا — ظلماوشططا — بالتحيز في الرأي ، وحب الجدال ، في حين أنه غافل عن مناورات الاستعمار الرامية الى تزييف الحقائق . ومهما يكن من أمر ، فاننا لم نكذب على التاريخ ، ولم نشوّه الظواهر الاجتماعية ... كل ما في الأمر أن حرصنا على دحض الحجج الباطلة ، وكشف الحقائق الناصعة ، واعادة الحق الى نصابه من الداخل ، بعد ما رأينا المؤرخين الفرنسيين يشوّهونه من الخارج ، أو يتنكّرون له تماما ... أقول ان هذا الحرص

ربما أضفى على هذه الدراسات طابع الالتزام . ان أكثر الناس لا يعلمون أن تاريخنا الوطني قد استأثرت به ــ بقصد تشويهه ــ جماعة من الباحثين المنتمين الى مدرسة كانت تسمى «مدرسة الجزائر» ، وجماعات أخرى ممن حذا حذوهم . وهنا يرد السؤال : ألم نسلك في دراساتنا هذه ، عن غير قصد ، أسلوبا يتسم بالسطحية أو الشكلية ، في الرد على مزاعمهم ... ؟ لا نعتقد أننا سلكنا هذا المسلك ، لأن نظرتنا الى التاريخ ليس فيها أي تحيّز . وعلى أية حال ، فان هذا الالتزام ما كان ليصدنا عن الدقة العلمية ، وعن الموضوعية التي حرصنا كل الحرص على التقيد بها في هذه الدراسات . فلاشك اذن ، أن منهجنا العلمي مرسوم في السياق الذي ذكرناه ، ومتأثر بهذا التوجيه الذي يفرضه علينا النضال الوطني ، والكفاح المسلّح ، والحرص على «تخليص التاريخ من الاستعمار»(1) . ولكن هدفنا يظل مع ذلك هو الاقناع والكشف عن الحقائق ، ليس الا ... ولا شك أيضا أن الدراسات الأولى من هذا الكتاب ، تعبّر بطابعها العام ، عن حالة نفسية مرتبطة بظرف معين ، كما تعبّر عن تجاوب الكاتب مع الواقع ، ومشاركته الوجدانية ، باعتبار أنه لا يستطيع أن ينفصل عن واقع بلاده ... ولكن هذا لم يمنعه أبدا من أن يتجرد من ذاتيته تجاه الأحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية والسياسية البارزة . والحقيقة أن المؤرخ اذا ما أراد أن يصف واقع بلاده ، من خلال خبرته الذاتية ، ومن خلال التجارب التي عاناها مع بني قومه ، فانه لا يستطيع أن يتجرد تماما عن ذلك الواقع ... وليس في ذلك أي محذور ما دام قصده من وصف واقع بلاده ، وحديثه عن التفاصيل الدقيقة الخفية لوضع من الأوضاع ، وشرحه للمباديء التي يعارضها أو يحاربها أعداء بلاده ... مادام قصده من كل ذلك هو انتهاج طريقة علمية في تناول الموضوع وتحليله وتمحيصه . واذا كان الأمر كذلك فلا يسعنا الا أن نقرّ بأن هذه النظرة الى التاريخ القريب المتعلق بقضية سياسية معينة ، وبالكفاح من أجل تحرير البلاد ، هذه النظرة تحتّم علينا أن نضع علامة استفهام أمام جملة من الحقائق الرسمية الشائعة ، وتجعلنا بالتالي ــ سواء شئنا أم أبينا ــ نتخذ أسلوب الجدال للرد على الخصم .

ومن جهة أخرى ، فان الحركة القومية التحريرية قامت في البداية على كواهل الطبقة الشعبية ، ثم آل بها الأمر الى الانتكاس عندما سلكت مسلك البورجوازية الجديدة . ان هذه الحركة التي كانت معقد آمال الشعوب المناضلة ، استمرت في عملها بعد الحرب العالمية الأولى ، وتأثرت قياداتها السياسية بالنظريات الاشتراكية ، مما جعل بعض منظّريها (2) المتنوّرين ، والمتأثرين بالفكر الماركسي ، ينظرون الى تاريخ الجزائر الحديثة

(1) وهو نفس العنوان الذي اختاره الأستاذ شريف الساحلي لكتابه .

(2) المنظّر : (بالظاء المشددة) ، واضع النظرية théoricien (المترجم) .

نظرة لا تخلو من العنصر العاطفي ، وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الأمة وواقعها قبيل عام 1830 وبعده ... ولنا في التاريخ المعاصر أمثلة عن حروب وطنية خاضتها بعض البلدان الكبرى التي اتخذت الثورة كمنطلق عقائدي . ففي هذه الحروب التي خاضتها ضد النازية أو الامبريالية أو الرجعية ، استعانت هذه البلدان بالعنصر العاطفي كعامل أساسي في تكوين مفهوم الأمة ، وكان لعملها ذاك أحسن الأثر في تأجيج نار الكفاح . وقد أشرنا في ثنايا هذا الكتاب ، الى أن أوغسطس بلانكي Auguste Blanqui كان في القرن الماضي ، يستهجن ويستنكر حركة الوطنيين الأوربيين الذين كانوا ينادون بنشوء القوميات ، الا أنه تراجع عن موقفه هذا ، وأخذ هو أيضا يتذرع بحجج القوميين لتبرير حركة المقاومة التي نشأت في بلاده عندما اجتاحتها بروسيا (ألمانيا) بجيوشها في سنة 1870 .